اولى اللغـــات في العـالـم: التشكيـل العـــراقي

امل الجبوري

في العراق الغارق في القدم كانت اول لغة دونت تاريخ البشرية، قبل ظهور فن الكتابة، هي لغة التشكيل، ويتجلى ذلك من خلال اللـوحـات والمسلات والنصب التذكارية التي تروي لنا تفاصيل حروب وانتصارات الالهة والملوك على حد سواء، وكذلك الاعياد والمراسيم والطقوس التي تشرح لنا تفاصيل الحياة ونظامها في ذلك الوقت، حتى ظهرت الكتابة لاول مرة مخترعة من قبل العراقيين قبل الاف السنين، الكتابة التي لم تلغ تلك الفنون بل على العكس، ازدهرتا معا لتكتبا الملاحم والاساطير والقوانين وغيرها بالحروف السومرية الاولى التي رافقتها الرسوم والتخطيطات والاعمال النحية لكي تكمل الكتابة البعد البصري للتشكيل وتمنحه البعد النفسي الذي يتمثل بالاعمال الخالدة التي بقيت كخلود ملحمة كلكامش وغيرها من أدبيات وفنون وادي الرافدين، كانت تلك هي البداية الاولى لحركة التشكيل في العراق القديم، تلك الحركة التي كان اساسها الفطرة والفنتازيا، والطبيعة وكذلك دهشة ا لانسان وصراعه من اجل البقاء دارت عجلة الزمان وانتقل العالم من النظام الديمقراطي في العبادة والايمان والمتمثل بتعدد الالهة الى نظام الواحدية المتمثل بالتوحيد، مما الغى في بداية الامر الكثير من طرق التعبير عن الاحاسيس والاحداث ومنها بعض الفنون، الا ان الفن التشكيلي، وخاصة فن التصوير العربي الذي شهد نهضة كبيرة بعد عام ١٢٠٠ الميلادي في زمن الخلافة العباسية بالرغم من الفكرة السائدة التي تقول بتحريم الاسلام للصورة، والامثلة كثيرة، الصور والمنمنمات التي رافقت كتاب مقامات الحريري ورسائل اخوان الصفا او الكتب العلمية الطبية وغيرها وكذلك الجداريات التي زينت القصور وكان البعض منها كانه يروي قصص الف ليلة وليلة من خلال بعض الرسوم التي عثر عليها خلال التنقيبات الاثرية لعام ١٩١١ و ١٩١٣، لقد اتسم الفن في العصر العباسي في بغداد بطابع عالمي من خلال الانفتاح على الفنون الهلنستية الشرقية المجاورة والغربية المتمثلة بالفن الروماني. ان البعد التاريخي المتجسد بالموروث الرافديني "السومري والبابلي والاشوري والاكدي" و الاسلامي المتمثل بالفترة العباسية التي كانت فيها بغداد قبل سقوطها على يد التتر المغول عاصمة الخلافة الاسلامية وعاصمة العالم الثقافية، وكذلك الانفتاح في بداية القرن العشرين على الفنون في العالم، خاصة الحركة التشكيلية في اوربا، كل ذلك شكل للفنان العراقي قاعدة قوية ينطلق منها لرسم هويته التشكيلية الخاصة به، فقد استلهم الفنانون الرواد في بداية التأسيس للحركة التشكيلية الحديثة في العراق كل تلك الابعاد التي ذكرناها سابقا.

العراق القديم والحديث الذي تعرض لحملات الغزو والحروب والانظمة الدموية على مدى العصور ضحاياه ليست اناسه حسب، بل كنوزه الاثرية والحضارية، من هنا ارتأت (ديوان) ان تصدر هذا الكتاب وهو الاول من نوعه في اللغة الالمانية عن الحركة التشكيلية في العراق من اجل توثيق هذه الحركة واستعراض اعمالها التي طالت يد الظلام الكثير منها حيث نهبت كافة المتاحف بعد سقوط النظام السابق ومنها متاحف الفنون التشكيلية في العراق، ضمن عملية منظمة خطط لها بشكل مدروس، حتى قبل بدء الحرب، كان الهدف منها ليس المتاجرة بتلك الاعمال فقط حيث مثل هذا جانبا من نوايا نهب المتاحف والمراكز الثقافية والمكتبات، بل اكد الجانب الاخطر الا وهو تدمير ومحو الذاكرة العراقية، التي هي الخزين الروحي للشعب العراقي، ولأن التشكيل يمثل في المراحل التي يستعرضها الكتاب، ايضا تاريخ العراق في منتصف القرن الماضي حتى فترة سقوط النظام ٢٠٠٣، فهو يشكل ايضا وثيقة مهمة للقارئ الذي سيتعرف على هذا التاريخ عبر الفنون التشكيلية هذه المرة وليس عبر الحروب والثورات وماكنة الاعلام، حيث الفن كان دائما بالنسبة لهذه الشعوب يمثل مرآة للانسان الفنان اولا ثم للعالم وما حوله. لقد اخترنا اولا دراسة الناقد والفنان جبرا ابراهيم جبرا، الذي يتحدث فيها عن جذور الفن العراقي الحديث من خلال استعراضه أعمال الجيل الاول من الرواد، جيل الخمسينيات، وكذلك الجيل الثاني المتمثل بالجيل الستيني والسبعيني، وتعتبر هذه الدراسة واحدة من المراجع المهمة لفهم طبيعة واساليب الفن العراقي الحديث، وقد كتبت هذه الدراسة وطبعت ونشرت اثناء فترة السبعينيات في العراق، ثم تأتي مقاطع من دراسة طويلة ستصدر في كتاب بالعربية يتناول الحركة العراقية التشكيلية منذ بداياتها حتى الان، للناقد والفنان عادل كامل، الذي اعتمد كثيرا في وصفه ملامح الرواد على دراسة جبرا، الا انه قدم للباحث والدارس للفن في صفحات كتابه الاخرى صورة متكاملة عن كافة الاجيال في العراق ووثق لأول مرة بعد سقوط النظام أعمال العديد من الفنانين الذين فقدت العديد من اعمالهم بعد عمليات نهب المتاحف الفنية اثر سقوط النظام، اما الناقد الدكتور عاصم عبد الامير فقد استعرض فقط تجربة الجيل الثالث، فناني الجيل الثمانيني، الذين تأثروا في بادئ الامر كثيرا بالتعبيرية الالمانية، والجيل التسعيني، هذه الاجيال التي خرجت تجربتها من رحم الحروب والحصار، استطاعت ايضا ان تخلق لها في اعمال بعض من فنانيها هوية عالمية، بالاضافة الى هويتها المحلية، التي تمكنت من الابتعاد عن فخ الثقافة الرسمية، والاعمال التي امتازت بسطحيتها ومحاكاتها للواقع، المتمثل بتمجيد وتجميل قبح النظام ومنجزاته بشكل سوقي وفج.

الا ان القارئ سيلمس في نقد المفكر العراقي الدكتور كنعان مكية رأيا مغايرا تماما، حيث يصف الناقد، وتحديدا، اعمال النحت المتمثلة بالنصب التذكارية، بانها خير من يمثل الابتذال في الذائقة الفنية، لأنها تضع الفنان العراقي اولاً في خانة المقلد . المنفذ لافكار صدام حسين، ورؤاه، وتنفيه بعيداً عن عالم الخلق الذي هو سمة الفنان المبدع الاولى، كنعان مكية يصف هذه ا لاعمال من خلال الصور والمعلومات التي حصل عليها في ذلك الوقت، حيث كان يعيش في المنفى، ويقدم للقارئ رؤية كاملة من خلال دراسة هذه الاعمال عن مستوى الفن بصورة عامة الذي هبط وانحدر الى الابتذال، على حد قوله، في فترة الثلاثين سنة الماضية من عمر العراق، الا ان ما فات مكية مثله مثل غيره من الذين تابعوا المشهد الثقافي العراقي والذي هو جزء لا يتجزأ من المشهد السياسي في ذلك الوقت، من الخارج من خلال نافذة الاعلام، والحكايا التي تأتي من هنا وهناك من أن هذا المشهد كانت لا تمثله الثقافة الرسمية حسب، بل كانت هناك ثقافات اخرى داخل هذه الثقافة، هذه الثقافات، كانت تصارع بشكل وبآخر ثقافة النظام، والفن التشكيلي كان واحدا من هذه الفنون التي قدمت ايضا ابداعا سيتم تقييمه بشكل موضوعي، بعيدا عن التأويل الايديولوجي، وبعيدا عن منطق الحب والكره السائد ي في القراءة النقدية للأعمال الفنية والادبية بصورة عامة في العالم العربي.

الاعمال الفنية، سواء الرسم او النحت، التي يقدمها هذا الكتاب، يشكل العديد منها الوثيقة والرد على ظاهرة التهميش والمصادرة التي عانى منها كثيرا الفنان العراقي من قبل المثقفين والنقاد والجمهور في الخارج، هذا المثقف الذي بقي في الداخل، ولم يتمكن من مغادرة العراق خلال حكم النظام السابق، انها تعكس حقا ضمير الثقافة العراقية الحي والحقيقي، الذي بقي مستمرا في صياغة خطابه الجمالي المنفتح على العالم رغم اسوار القبح والعزلة والخوف وظلم الحروب ولا انسانية الحصار.

في ثقافة الاطفال (٥)
التقـييم الموضـوعـي لدالـة الطفل المثقـف

فاضل الكعبي

يبقى الطفل . في نظر البعض . مما أُوتي من قدرات ومهارات واستعدادات وخبرات، وتفاعلات، وتعددت دالاته المعرفية، والسلوكية، او تجاوزت قدراته التفاعلية، والابداعية، عما هي عليه قدرات البعض من الكبار، فهو يبقى . في النظر والتقييم . ذلك الطفل، الذي لم يكتسب الصفة الانسانية الكاملة بعد ولم يخرج عن دالته الصغيرة، التي اعتادت فرضها، في الوعي الجمعي، النظرة القاصرة نحوه، وهذا القصور ظل يلاحقه اينما حل، ومرجع ذلك، هو الوعي الجمعي، او الوعي العام للمجتمع الذي ترسخ فيه المفهوم الدوني، في التعامل مع الطفل، ودالته، بوصفه كائناً صغيراً، مازال في طور النمو والاعداد، وما تتصف به الشخصية الكبيرة . عمراً . لايصح ان تتصف به شخصية هذا الكائن، من وجهة النظر تلك، التي جعلت الطفل على مدى اجيال متعاقبة . في مراحلها المتأخرة ومراحلها المتقدمة . تابعاً لنا نحن الكبار، ولم ينل استقلاليته، ولاتحرره من سطوتنا القاسية .

خاصة هؤلاء الاطفال من ذوي القدرات الفائقة ،، والذين يحتاجون منا تعاملاً خاصاً، منسجماً مع قدراتهم تلك، الا اننا ما زلنا نتعامل مع هذا الضعف، وهذا الطفل الذكي، على حد سواء، بل اعتبر الطفل المطالب بحقه المشروع برعاية خاصة، والاصرار على توفير حاجات دعم مواهبه، بمثابة المتجاوز على حقوق الوالدين بالانصياع لارادتهم، والمتمرد على تقاليدهم وانماط تربيتهم له...

وهكذا قاد هذا الشعور الطفل الى النكوص، وعدم النمو الايجابي في قدراته، وعليه ان يبقى تابعاً للكبار، وان لا يخرج . دائماً . عن ارادة المتبوع، مهما فعل هذا الاخير به، حتى وان اسقط عليه اسقاطاته الفكرية، والاسلوبية، والسلوكية، والاجتماعية، والثقافية، بكل ما تحمله شخصية المتبوع من سلبيات، وتخلفات، واكراهات، في الوعي والتعبير والتصرف، سرعان ما تنعكس وتتمثل في سلوك الطفل الذي يعيش في كنفه، حيث تبقى هذه الاسقاطات، عالقة في مجسات الطفل وكينونته، وتصبح جزءاً من ثقافته، بل ويصبح هذا الطفل نسخة اخرى من شخصية المتبوع . سلباً او ايجاباً ..

والاشكالية الكبيرة هنا، هي كيف يتم فك الاشتباك بين حالتين متضادتين من الوعي؟.. كيف يتم تخليص الوردة من حصار الاشواك لها؟.. كيف يتم العمل مع الطفل لتطوير محفزاته الثقافية وتشذيب وعيه من الشوائب العالقة، ومن بعض التخلفات الاجتماعية في البؤرة التي نشأ فيها..؟ كيف يمكن التفكير والعمل الجاد لانتشال الطفل من واقع متسيب في علاقاته، وقيمه، وضابطه الاخلاق، وانماطه الثقافية المتخلفة، ومن السلوكيات التربوية والاجتماعية الخاطئة، كيف نمنح هذا الطفل القدرة، والفاعلية، والامكانيات، لينمو، ويترعرع، ويتقدم بايجابيات طبيعية، بعيدا عن تخلفاتنا المتوارثة التي ادت الى عدم وضوح الرؤية المستقبلية لثقافة اطفالنا، فظلت هذه الثقافة اسيرة الرقابة، والنزعة الذاتية الضيقة، والتشتت في الافكار، والاتجاهات، وتغلب الانماط التربوية والثقافية والاجتماعية رعاية الطفل واساليب التنشئة، اذ ظل التباين واضحا في اساليب هذه التنشئة، بين اسرة واخرى وبين مجموعة واخرى، فهذه الاسرة او هذه المجموعة ترى ضرورة اطلاق طاقات الطفل وفتح الافاق واسعة امامه للانطلاق نحو تأكيد ذاته، التي هي ذات المستقبل المتقدم للمجتمع، بينما ترى اسرة او مجموعة اخرى عكس ذلك، وتصر على كبت قدرات الطفل، وعدم افساح المجال امامه لتطوير قابلياته وخبراته، والتقلد بتقاليد العلوم الحديثة، والثقافة التكنولوجية المتقدمة، او مسايرة التطور التقني، لكي لا يخرج بذلك عن ثقافتها الضيقة، ونظام تقاليدها الصارم، وينهج منهجا اخر يعارض منهجياتها في النشأة.. وتصر على ان ما تريده لطفلها هو الصائب، اما ما يريده الطفل انطلاقاً من قدراته، وامكانياته، ومواهبه، فهو غير جائز وهذا ما يخلق الفجوة الثقافية بين طفل واخر، ويعزز من مساوئ التخلف الاجتماعي والتربوي، اذ . على سبيل المثال . يسلك الطفل اتجاها فنيا في طموحه المستقبلي، كونه يحب الرسم الذي دعته موهبته، وقدرته اليه . بينما يصر الاب على ان يكون مهندساً، ويرفق دعم موهبة طفله بالرسم، ويحاربه في هذه الموهبة، مما يجعل الطفل مشتتاً بين رغبته الطبيعية ورغبة والده المفروضة، وهذه الحالة احياناً تأتي بنتائج عكسية كما تحدد ذلك الدراسات.. اذ تدفع الطفل الى كره رغبته، ورغبة والده، فينشأ تقليدياً، غير مبال لاي اتجاه في المستقبل، سوى ما تمليه عليه دراسته المدرسية، وما توصل اليه من مستوى في دراسته التقليدية، واحيانا اخرى ينصاع الطفل لرغبة والده ويترك رغبته، غير انه لا يخلص في عمله ولا يبدع فيه كونه لم يأت برغبته، بينما يحاول جاهداً تنمية موهبته واحياء رغبته من جديد، بعد ما ظلت ضامرة في طفولته، واغلب الاحيان بعد ان ينضج الطفل ويكبر تكون مكامن الموهبة تلك قد ضعفت.. فتبدأ مشكلة هذا الانسان في صراعه مع نفسه لاستعادة موهبته التي ماتت او ظلت حبيسة في ذاته خلال طفولته..

من هنا تكمن اشكالية الوعي، وتطور القابليات بين مرحلة واخرى، واستمرارية حالات التخلف الثقافي من جيل الى آخر وتوارث النظرة الضيقة، التي تحد من طاقات الطفل وقدراته، ولا تطلق تلك الطاقات والقدرات باتجاه يعزز منها، ويجعلها في الطريق الصحيح لبناء طاقات المستقبل، وبنائه الحقيقيين اللذين هما الاطفال..

ان الواقع الموضوعي في كل مراحله، يؤكد حقيقة لا مهرب منها، وهي ان الاطفال خلقوا لزمان غير زماننا، واذا ما اخضعنا الاطفال لقيمنا، وعاداتنا، وانماطنا السلوكية، علينا ان لا ننسى القيم الجيدة، والتقاليد الايجابية الجديدة التي يمتصونها من واقعهم الموضوعي، واساليب امتصاصهم للثقافة المتوافقة معهم، والتي لا تشذ عن القواعد العامة للاسرة والمجتمع. ونسمح لهم بابداء الرأي، وحرية التعبير، واجراء الاختبارات، والكشف عن مكامن الذات، وملامح الرغبات وبوادرها، لتعزيز طموح المستقبل، الكامن في بواطن الرغبات هذه، والتي عبرها تتضح بعض ملامح سمة الطفل (المثقف). والتي تدعونا الى الدقة في التمييز بين هذا الطفل وذاك، بين هذا الطفل الاكثر قدرة، وذكاء، ووعياً، وتحرراً، وتعبيراً، عن طفل آخر محدود الامكانيات والقدرات، مازال قابعاً في ذاته النامية، في اطارها المحدود الذي لا تظهر عليه اية بوادر او علامات او دلائل، تدفع باتجاه التنقيب في اعماقه عن سمة (المثقف) والتمييز بهذه الخاصية على الاطفال الاخرين.

الموسوعيـــة ولعبـــة الســبرنتيكـــا

صافي الياسري

سمع احد المحررين سكرتير تحرير صحيفة يصفه بأنه موسوعي ، ولأنه يكن له احتراماً خاصاً قرران يعيد النظر في تكوينه الثقافي والمعلوماتي وترتيب أنظمته ومجساته وذاكرته في محاولة لفهم التباس الصفة في فوضى الاستخدامات المجازية وغير المجازية ، فالمفردة مهما كان الأصطلاح على معناها شائعاً وشديد التوافق تظل مرتبطة كالخلية الحية بعوامل مؤثرة عديدة تسعى في الزمن امتداداً وتقلصاً وربما انقلاباً الى النقيض واحياناً الاندثار.

ها نحن ندخل حقلاً لغوياً فلسفياً شائكاً ومليئاً بالالغام، فولوج قلعة الفيلولوجيا يثير أصغر حملة الرماح بله البرجعاجيين والاكاديميين والنحويين اللغويين لينهضوا في وجه المتطفل أو الموسوعي أو السائح بين اطلالهم المقدسة.

والموسوعية حركة فكرية ارتبطت بعصر النهضة الأوربية ولها ممثلوها الجديرون، وضمت العديد من رموز العلم والثقافة الذين افرزهم الفكر الاسلامي في عصوره الذهبية، وانضوى تحت لوائها في القرن الماضي عدد من الاسماء العربية اللامعة ومنها سلامة موسى على سبيل المثال، ومع ذلك فهي تسمية لم تعرفها على حقيقتها الا قلة من المتنورين، بينما استوردها اخرون للاستخدام المجاني لتصبح بدرجة ما نوعاً من (الرمز) او الدلالة او الاصطلاح على المشتقات التي يمكن ادخالها بسهولة "نظام ترميز" آخر بمعان أخرى وهي في هذا السياق لبنة خارج حائط اللغة، أو انها لبنة شيطانية جذرها في لغة اخرى وثقافة اخرى يمكن الأستدلال عليها في صفحات الأنسكلوبيديا.

يقبض المحرر على مفردة (الترميز) مدركاً انه يلج باب لغة أخرى، اصطناعية خاضعة لمنطق رياضي محدد ومن ثم لنظم السيطرة والتحكم، وبمعنى من المعاني الشاعرية يصف نفسه بأنه قارئ الرمز الذي يحاول ان يسمع سمفونية الوجود كله كاملة، مع انه لا يلغي التخصص في السماع وحتى احترافه.. أو انه الطفل الذي لايني يتعلم النطق بانظمته التي لا تنتهي مع تفرده في استخدام لغة محددة وهنا يدخل لعبة السبرنتيكا.

والسبرنتيكا باختصار تعني سبل او نظم التحكم، وهذا المصطلح اثار انتباه العالم بشدة عندما نشر العالم الرياضي الاميركي نوربرت وينر عام ١٩٤٨ كتاباً بعنوان (السبرنتيكا او التحكم والاتصال في الكائنات الحية وفي الآلات) وبالرغم من مرور ٥٧ عاما على نشر هذا الكتاب لكنه لم يفقد قيمته بل انه مازال يفتح افاقا جديدة مع الزمن، ولم يكن وينر في الحقيقة هو اول من تحدث عن نظم التحكم والأتصال، فقبل ما يزيد على ١٣٠ عاماً، اعترض العالم الفيزيائي الرياضي والاديب والرسام والموسيقي الفرنسي اندريه ماري أمبير على وصفه بالموسوعي معتبراً هذا الوصف معطفاً اكبر من ان يرتديه أمبير المتواضع، ووصف نفسه بمتلمس الطريق داعياً بقية المتلمسين ان يضيفوا ما يعرفون الى مؤلفه الضخم (فلسفة العلوم)، وفي هذا المؤلف أفرد أمبير فصلاً خاصاً لكل علم من العلوم ووضع السبرنتيكا عنواناً للفصل الثالث والثمانين، وتحدث عنه كعلم مستقبلي يتناول بالبحث سبل التحكم بالمجتمع مشتقاً له هذا الأسم من الكلمة اليونانية المركبة (سبرنتيس) ومعناها "دفة الربان" والدلالة واضحة، كما يشير الكاتب الروسي أ. بيرغ في حديثه عن السبرنتيكا واصل المفردة، المنشور في مجلة "الثقافة" العدد الثامن من عام ١٩٧٥ من القرن الماضي وترجمة جودت بلال اسماعيل.

ويمكن ادراج الفسيولوجي، أي بافلوف وعلماء الرياضيات ك شينون ود. نيمان ون كالماروف والبيونوف وهم جميعاً من علماً الاتحاد السوفيتي السابق كمتخصصين في علم السبرنتيكا الذين وضعوا اللبنات الأولى على هدي أمبير، فقد كان الاتحاد السوفيتي يولي هذا العلم اهتماما خاصا.

وحجر الزاوية في هذا العلم هو الرياضيات والمنطق الرياضي الذي يحكم نظرية المعلومات ونظرية الخوارزميات نسبة الى العالم المسلم الخوارزمي او اللوغارتيمات أو المجاميع الرياضية، ونظرية الاحتمالات ونظرية الدالات ونظم الأتصال ونظريات اخرى مما يتيح لمحرر سفسطائي ان يكتب مقالاً يشكك فيه بعدد من الثوابت العلمية ومنها ثوابت اقليدس الهندسية وفي المقدمة منها المبدأ القائل بان الخط المستقيم هو اقرب الخطوط بين نقطتين، عندما يقرنها الى الهندسة اللا اقليدية التي تقول ان الخط المنحني هو الاقرب اعتماداً على مسار الضوء المنحني دون ان يخبرك ان الأمر مرهون بالمكان، فاللا اقليدية هي هندسة كونية وهي بذلك تختلف عن مد خط هاتف بين هذا المحرر وسكرتير التحرير، والأمر كله نسبي في عرف انشتاين، ودوام الحال من المحال كما يقول الميتافيزيقيون وانت لا تعبر النهر مرتين، كما يقول هيراكليدس أو الصينيون او لينين، هل رضيتم الان؟ أو يستغل سلالم الدرج الموسيقي الطبيعي لصياغة نظام اصطناعي في التدرج بموازاة النظام الطبيعي يمكنه من اختيار السلم السوداني بدرجاته الخمس أو الاوربي بدرجاته الثمان ا و التركي او العربي بأرباع الصوت التي يتكون منها تلك هي السبرنتيكا وهذا هو منطقها الذي يهرع اليه المحرر الذي حاول المخادعة في امثولة الخط المستقيم، برغم انه مازال بامكانه القول بوحدة قوانين العالم المادي واستعارة هيجل وماركس في آن واحد من دون الحاجة الى شيء من الزوغان السفسطائي.

وحتى لا يتعرض لمناقشات تلجئه الى استخدام الخداع البصري واللعب بالكلمات ومعانيها، يجد ان من الاسلم له ان يعود مرة اخرى طفلاً يتعلم المنطق على طريقة الحاسبات الكهربائية فائقة السرعة وبرامجها ونظمها أو (لغتها) اللامتناهية، والقفز المنظم على درجات السلم الموسيقي صعوداً ونزولاً، أو ابتداع الة اختزال تجمع كل انظمة الكون المتخصصة بالتحكم والاتصال في ابجدية رمزية مستحيلة او الحديث بيسر عن التحكم في خط اوتوماتيكي أو مصنع أو وحدة عسكرية أو حاسبة ما أو مجموعة حاسبات أو وحدة عسكرية أو معسكر مدني أو خلية حية أو موروثاتها الجينية أو... جريدة.. كما تقتضي لعبة السبرنتيكا.

ومادام قائدنا في هذه اللعبة محرراً، فنحن نفضل ان نفهم نظام التحكم في جريدته كجزء من اللعبة، وربما يكون أقدر على ايصاله الى ادمغتنا، عندها يحدثنا عن رئيس قسمه (الفلتر) الاول وهو صمام له آلية الخاصة عند تمرير المقال، مما يتطلب صياغة واسلوباً ونظاماً خاصاً للتعامل معه ويضيف المحرر ان الفلتر الثاني هو سكرتير التحرير ثم نائب رئيس التحرير ثم رئيس التحرير الذي يحسم أمر المقال باعتباره الباب العالي واضع سياسة الجريدة ونظامها او لغتها، بمعنى انه مطالب بأن يستخدم لغة اصطناعية محددة أو ترميزاً محدداً باطار شخصية الجريدة الاعتبارية التي تمثلها هيئة التحرير كلها، وهذا الترميز أو اللغة ينمو داخلياً مع نشأة الجريدة الاولى او منذ اللحظات الاولى التي ينضم المحرر الى كيانها من خلال تراكم محاولات عديدة للمرور عبر هذه الفلترات، أو اقتحامها أو جس نبضها حتى بالأخطاء المقصودة لاختبار قوة التحكم وسبل الاتصال والتفاهم، وهذه القوة تبرز عند فشله في تمرير لغته الخاصة وموضوعه بعيداً عن لغة شخصية الجريدة او اللغة المطلوبة، أو الترميز الذي يمكن تسميته بالمفتاح او جواز المرور.

هنا اذن لغة خاصة ونظام تحكم مفرداته مجموعة من المقبولات والمرفوضات، وهذه اللغة تجري في مجموعة قنوات، صوتية كتابية نظرات.. صمت حتى..، وقنوات اتصال اخرى من النوع الذي يتعامل مع برنامج محدد أو لغة محددة أو مجموعة اشارات أو ترميز ما يصبح مفتاحاً لولوجها ويجعلها سالكة بين المتحكم والمحكوم، ومع ذلك فان هناك دائماً قوة مرتدة أو تلقيم مرتد يحمل معلومات عن مدى تأثير هذا التحكم في المحكوم وبالعكس، ويحاور دورهما باتجاه التقليص او الأمتداد، ويظهر ذلك جلياً في طريقة استقبال المعلومات والانطباعات والاوامر والقرارات وخزنها والأمتثال لها، والقدرة على استعادتها بالسرعة المطلوبة، وربما كان التلقيم المرتد هو المبدأ والواقع الذي قامت عليه صناعة الفايروسات التي تلتهم البرامج والنظم في الحاسبات الألكترونية، وهي فايروسات تنبئ ان صانعيها مرمزون افذاذ وبعضهم تمكن من اختراق انظمة محكمة تختزن اسراراً عسكرية لأنهم اكتشفوا (شفرات) أو نظم أو طرق الترميز التي استخدمت في هذه الحاسبات، وكذلك سرقة المصارف بتقنية تحكم مذهلة، ويقول المحرر أنا لا افكر في صناعة فايروس للاجهاز على نظام التحكم في جريدتي لكنني واثق من ان جدلية الحرب بين هذه الفايروسات وانظمة التحكم السائدة ستنتج نظاماً جديداً يستجيب لتحديات الحاضر والمستقبل.

والسبرنتيكا تقف اليوم، اخطبوطاً هائلاً من انظمة التحكم او التحكم المضاد والاتصالات في شتى المجالات ولها رموزها ولغاتها وبرامجها وانظمتها التي لا تني تنمو مخلفة وراءها كل رموز العجز اللغوي، خالقة اطفالها الجدد المنكبين على تعلم النطق بلغاتها او المتلمسين كما دعاهم الزميل الفرنسي أمبير.